

مجرى مياه فم الخليج

أن المتتبع لطوبوغرافية عواصم مصر الإسلامية يجدها سلسلة مؤلفة من امتدادات اتخذت اتجاهها واحدا جهة الشمال الشرقى . فقد أنشأ عمرو ابن العاص مدينة الفسطاط سنة ٦٤١ م ، ولما ضاقت هذه العاصمة بساكنيها أنشئت مدينة العسكر فى العصر العباسى سنة ٦٧٠ م . ولما استقر الأمر لأحمد ابن طولون اتخذ له عاصمة جديدة هى القطائع بناها فى الجهة الشمالية الشرقية لمدينة العسكر فى عام ٨٦٩ م . ثم جاء الفاطميون فأنشأوا لهم عاصمة جديدة اتخذوها مركز إشعاع للمذهب الشيعى ، تلك هى مدينة القاهرة التى أنشئت سنة ٩٦٩ م (انظر شكل ١) .

ثم دالت دولة الفاطميين وجاءت الدولة الأيوبية التى أسسها صلاح الدين ابن يوسف الأيوبى ، وكان من التقاليد المرعية فى العصور الوسطى أن يبنى الملوك والسلاطين المدن والعواصم تخليداً لذكرهم ، وكذلك فعل صلاح الدين ، ولكنه بدل أن ينشئ عاصمة جديدة رأى بثاقب فكره أن يبنى^(١) سورا يضم شتات العواصم الأربع السالفة الذكر خاصة بعد أن أباح صلاح الدين سكناً القاهرة للخاصة والعامة^(٢) ، مما أو جب الزيادة فى رقعتها . كما أنشأ قلعته المشهورة « بقلعة الجبل » إلى الغرب من تلال المقطم ، لتكون له معقلا وحصنا^(٣) يعتصم به من أعدائه ، وليتخذها مقرا لحكومته وثكنات لجيشه .

وقد روعى فى تصميم السور الجديد أن يحيط بالقلعة حتى يتصل بأسوار القاهرة .

(١) ابن جبير ص ٢٠

(٢) المخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق .

من الجهة الشمالية من نقطة اتصال السور الفاطمي بالخليج المصري إلى جامع المقس ، أولاد عنان الآن^(١) ، ومن باب النصر إلى برج الظفر . وفي الجهة الشرقية من برج الظفر إلى باب الوزير وقلعة الجبل ثم يميل جهة الغرب فاصلا الجزء العامر عن الخراب من دور العسكر والفسطاط محيطا بها من جنوبها حتى يلتقي بالنيل عند رباط الآثار ، جامع أثر النبي ، . وقام بعمارة القلعة الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي^(٢) ، فشرع في بنائها وكذا السور عام ٥٧٢ هـ ، ولكن صلاح الدين مات قبل أتمام هذا المشروع فأهمل العمل فيه إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل فآتمها وسكنها^(٣) واقتدى به من ملك مصر من بعده من ملوك الدولة الأيوبية وحذا حذوهم ملوك دولتي المماليك .

ولما كانت حكومة صلاح الدين حكومة حرية فقد استأثرت الحرب بجزء كبير من عناية الدولة وميزانيتها ، من أجل ذلك احتاج صلاح الدين إلى منشآت حرية وأخرى مدنية كان من أهمها إذ ذاك بناء الجسور وتطهير الترع وتشديد القلاع وإقامة الأسوار المحيطة بالبلاد لتقيها شر غارات الفرنجة من الخارج والشيعة المنبثين في أنحاء العالم الإسلامي . ومن أظهر الأعمال الجليلة التي ما انفك أثرها بانيا حتى اليوم والتي تشهد بتقدم مصر الهندسي في عهد صلاح الدين هو توصيل مياه النيل من رباط الآثار عبر الأسوار إلى القلعة . وكانت هذه الفكرة بمثابة نبراس سار على هديه من جاء بعده من الملوك والسلاطين فبنوا القناطر إلى جانب السور لزيادة كمية الماء التي تصل إلى القلعة .

تعددت الأقوال وكثرت الآراء في تأريخ مجرى المياه الذي كان يوصل مياه النيل إلى قلعة الجبل ، كما خطط كثير من الكتاب بين مجرى المياه وأسوار صلاح الدين حتى لقد كان الاصطلاح الشائع إلى عهد قريب لدى العامة وفي المكاتبات الرسمية على تسميتها « بمجرى صلاح الدين » . لذلك فقد

(١) الفسطاط — الأستاذ حسن الهواري ص ١٠ .

(٢) القريري جزء ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) القريري جزء ٢ ص ٢٠١ .

رأيت أن أتبع تاريخ هذا الأثر كما جاء في المراجع التاريخية ثم أناقش آراء المؤرخين وعلماء الآثار على ضوء ماورد في المراجع القديمة وعلى ضوء الآثار الباقية وطوبوغرافية مدينة القاهرة .

مقدمه تاريخية :

لقد جاء ذكر هذا المجرى في كتاب خطط مصر للمقريزي في مناسبات عدة ننقل منها هذا النص : « أنشأ الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ أربع سواق على بحر النيل تنقل الماء إلى السور^(١) ثم من السور إلى القلعة . وفي عام ٧٤٨ هـ عزم الملك الناصر على جفر خليج من ناحية حلوان إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء إلى الميدان الذى عمله بالقلعة ويكون حفر الخليج فى الجبل ، ولكنه عدل عن تنفيذ هذا المشروع لكثرة تكاليفه ، إذا قدر له مبلغ ثمانين ألف دينار ، كما رأى الملك الناصر أن المدة التى سيتم فيها المشروع وهى عشر سنوات مدة طويلة . فلما كانت سنة ٧٤١ هـ اهتم الملك الناصر بسوق الماء إلى القلعة وتكثيره بها لأجل سقى الأشجار وملء الفساقى ولأجل مراحات الغنم والأبقار ، فطلب إليه المهندسين والبنائين وسار فى طول القناطر التى تحمل الماء من النيل إلى القلعة حتى انتهى إلى الساحل فأمر بجفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجرى إلى القلعة فيسقى الميدان وغيره . فعمل ذلك ثم أحب الزيادة فى الماء أيضا فركب ومعه المهندسون إلى بركة الحبش وأمر بجفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر إلى حائط الرصد^(٢) وينقر فى الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السراقى لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة التى تحمل الماء إلى القلعة زيادة لمائها . وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل

(١) المقريزي جزء ٢ ص ٢٤٠ .

(٢) انظر وصف الرصد المقريزي ج ١ ص ١٢٥ .

فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعاً وتقدّر الله تعالى موت الملك الناصر قبل اتمام هذا العمل فبطل ذلك وأنظم بعد ذلك وبقيت منه إلى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار وما زال الحائط قائماً من حجر في غاية الاتقان من أحكام الصنعة وجودة البناء عند سبطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد قائماً من الأرض في طول الجرف إلى أعلاه حتى هدمه الأمير يلبغا السالمى سنة ٨١٢ هـ وأخذ ما كان به من الحجر فرم به القناطر التي تحمل إلى اليوم الماء حتى يصل إلى القلعة وكانت تعرف بسواقي السلطان فلما هدمت جهل أكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها .

يتبين لنا من النص سالف الذكر أنه كان يوجد في عصر الملك الناصر مأخذان للماء من النيل مباشرة يوصلانه إلى القلعة ، أحدهما يرجع للعصر الأيوبي والآخر انشأه الملك الناصر محمد . وقد أطلق المقرئى على المجرى الذى كان يوجد قبل عهد الناصر محمد اسم « القناطر العتيقة » . ويقول الأستاذ كرزويل^(١) أن لفظ القناطر العتيقة التي ذكرها المقرئى هو الذى أدى إلى التضارب في تاريخ هذا الأثر فقد ذكر Casanova^(٢) وكذلك Van Berchem^(٣) أن المجرى قد أنشئ في عهد السلطان الكامل ويكون جزءاً من المجرى الموجود حالياً ثم أصلح وأعيد بناؤه في عهد من جاء بعده من السلاطين . أما Vollers^(٤) فإنه يقول « لعل المقرئى يعنى بكلمة ، القناطر العتيقة » قناطر ابن طولون التي أقامها في البساتين وأن كان ذلك لا يتفق وطبوغرافية القاهرة ، أو لعله (المقرئى) يقصد بالقناطر العتيقة أنها أنشئت في عهد صلاح الدين وهذا هو الشائع الآن بين الجمهور وإن لم يؤيده نص أو مرجع تاريخي .

(١) كرزويل ص ٨٩ .

(٢) Casanova ص ٦٦٠ .

(٣) Van Berchem. (Journal Asiatique 1891—1892)

(٤) Vollers ص ٥٩ .

على أن جمهور مؤرخى مصر الإسلامية أجمع على أن صلاح الدين توفى قبل اتمام بناء القلعة والسور فأهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل فآتمها . كذلك أجمعت المراجع على أن البئر المعروفة بالحلزونى المنفورة بالقلعة هى من عمل صلاح الدين وكان الغرض من انشائها تخزين الماء داخل القلعة بواسطة إذا حدث أن حوصرت القلعة . ولعل من المفيد أن أنقل وصف هذه البئر كما ذكرها ابن عبد الظاهر^(١) . هذه البئر من عجائب الابنية تدور البقر من أعلاها فتقلل الماء من نقله فى وسطها ، وتدور البقر فى وسطها تنقل الماء من أسفلها ، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها فى مجار وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل أن أرضها مساحة أرض بركة الفيل ، وماؤها عذب . كذلك وصف القاضى ناصر الدين شافع بن على^(٢) هذه البئر فى كتابه « عجائب البنيان » أنه ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلثمائة درجة والمشاهد أنه ينزل إليها بمزلقان ، ولم يكن هناك درج ، وبئر يوسف هذه عبارة عن بئرين فوق بعضهما والماء بعد طلوعه من البئر السفلى ينصب فى البئر الثانية والمستعمل فى نقله سواقى القواديس وارتفاع البئر العليا من ابتداء أرض القلعة إلى قاعها خمسون متراً وثلاثة أعشار المتر وعمق البئر السفلى أربعون متراً وثلاثة أعشار متر فيكون مجموع الارتفاع من أرض القلعة إلى قاع البئر السفلى تسعين متراً وستة أعشار المتر أو مائتين وتسع وتسعين قدماً وجميعه نقر فى الحجر ، ومستوى ماء بئر يوسف تحت مستوى تيارات النيل وماؤها به ملوحة قليلة .

من هذا الوصف الدقيق لهذه البئر نستطيع أن نرجح أنها كانت تكفى لسقاية القلعة على الأقل فى عهد صلاح الدين خاصة وأن بناءها لم يتم فى عهده أى أن عدد سكانها كان محدوداً .

(١) المخطط التوفيقية ج ٩ ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ .

على أن الاستكشافات التي قام بها على بك بهجت في الفسطاط^(١) قد أوضحت الفقرات الغامضة في نص المقریزی . فقد تبين من الكشف بأن سور صلاح الدين الممتد إلى الغرب من الفسطاط يلتقي بقناطر المياه عند الانثناء الكبير حيث يوجد سبيل (الوسية) الآن ، ثم يتجه جهة الشمال الشرقي نحو القلعة (انظر شكل ١) . وقد وجد في أعلى سور صلاح الدين مجرى محفور في الحجر ومغطى بألواح حجرية ، ويجاور الجزء المكشوف منه من الداخل حوضان يظهر أنهما كانا يملآن من ذلك المجرى ليشرب منهما عابرو السبيل^(٢) . ولذلك فاني أؤيد ما ذهب إليه الأستاذ كرزويل من أن المقریزی يعنى بلفظ « القناطر العتيقة » السور العتيق بالنسبة إلى أن السور كان يؤدي نفس عملية قناطر المجرى .

وقد توالى يد الإصلاح والتعمير لهذه القناطر فقد جاء في المقریزی أن الأمير يلغا السالمی أصلحها سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) كذلك قام السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ببعض الإصلاحات ، فقد أنشأ باباً معقوداً عند التقاء المجرى بالسور ، ولا يزال الباب باقياً حتى اليوم يحمل اسم قايتباي وجزءاً من تاريخ إنشائه وهو ٨٨ (انظر لوحة ٩) . ويرجح Casanova أن يكون هذا الباب هو باب الصفاء الذي ذكره المقریزی ، ولكنني أستبعد ذلك حيث أن المقریزی ذكر أن هذا الباب قد هدم في أيام الملك الظاهر بيبرس^(٣) .

وذكر ابن إياس^(٤) وكذلك أبو الفلاح^(٥) بن العباد أن الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري الذي حكم من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢٢ أنشأ المجرى .

(١) حفريات الفسطاط على بك بهجت ص ٢٦ . ٢٧ .

(٢) الفسطاط : حسن الهواري ص ١٢ .

(٣) للمقریزی ج ١ ص ٣٤٧ .

(٤) تاريخ مصر لابن إياس ج ٣ ص ٦٢ .

(٥) شذرات المذهب ص ١٤ .

(٦) Casanova : The Citadel.

ويؤيد هذه الرواية سمة السلطان المنقرشة على أماكن متعددة من المجرى ونصها : عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره (انظر لوحة ١) وهناك جامه أصلها من هذا المجرى ونقلت إلى متحف الفن الإسلامى تحت رقم (١٠٠) إلا أن هذه الجامات لا تحمل تاريخاً وإن كان Casanova يقول أن الغورى أنشأها سنة ٩١١ هـ أى سنة ١٥٠٥ م ويقول Jomard^(١) حوالى سنة ٩٠٧ هـ سنة ١٥٠١ م .

وإذا مددنا خطاً من جامع زين العابدين يتقاطع مع الواجهة الشمالية للمجرى وجدنا لوحتين تذكريتين باسم عبدى باشا يتبين منهما أنه قام ببعض الإصلاحات للمجرى عام ١١٤٠ هـ - ١٧٢٨ م (انظر لوحة ٢) وقد نقلت اللوحتان إلى متحف الفن الإسلامى تحت رقم ٤٢٣١ ، ٤٢٣٢ . وما هو جدير بالملاحظة أننا نجد على جانبي الكتابة باللوحتين التذكريتين رسم حيوانين اعتقد أنهما رنك عبدى باشا ويوجد مثل هذا الحيوان على إحدى الدعائم الساندة القرية من سكة حديد حلوان (انظر لوحة ٣) ولذلك فإن كرزويل^(٢) يرجع الدعائم الشبه دائرية إلى إصلاحات عبدى باشا (لوحة ٤) .

ثم جاءت الحملة الفرنسية وأحدثت كثيراً من التغيرات بهذا المجرى ، فقد ورد فى الجبرتي^(٣) فى ذكر ما هدمه الفرنسيون وخرّبوه وما أحدثوه من العماثر ما يأتى : سدوا أبواب الميدان من ناحية الرسيّة وناحية عرب اليسار وأوصلوا سرر باب القرافة بجامع الزمر وجعلوا ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيرها وجعلوها سوراً بذاتها ولم يبقوا منها إلا قوصرة

(١) Jomard : Description de L'Egypt.

(٢) Creswell : P. 22.

(٣) الجبرتي ج ٢ ص ١٦٥ .

واحدة ناحية الطيبي جهة مصر القديمة جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعساكر الملازمون الاقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل وسدوا الجهة السلوكية من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضاً وعليه حرسية ملازمون القيام عليه وذلك حيث سواقى المجراة التي كانت تنقل الماء إلى القلعة وحفروا خلف ذلك خندقاً .

تسمية المجرى :

ومن العجيب أنه على الرغم من عظم شأن هذا المجرى وكثرة ورود ذكره في المراجع التاريخية إذ ذكره المقرئى وأبو المحاسن وابن إياس والسخاوى وابن حجر العسقلانى والسيوطى وابن دقماق وابن العباد وغيرهم فإن أحدا لم يسمه .

ولكننا نجد فى بعض الكتب الحديثة تسمية له فقد سمي « بقناطر »^(١) صلاح الدين ، ولعل ذلك يرجع إلى أن أول من فكر فى توصيل مياه النيل إلى القلعة فى مجرى مرتفع هو صلاح الدين ، إذ استخدم السور ، كمجرى للمياه . أو لعله قد التبس الأمر على بعض الكتاب وظنوا أنها القناطر التى أنشأها صلاح الدين غرب النيل فقد ذكر ابن جبير^(٢) والمقرئى^(٣) وغيرهما من المراجع أن صلاح الدين أقام قناطر غرب النيل مكونة من أربعين قنطرة .

وفى كتاب^(٤) وصف مصر للحملة الفرنسية جاء ذكر هذا المجرى تحت اسم (السبع سواقى) . ولما كانت جميع البيانات والمعلومات التى جاءت

(١) محاضر جلسات لجنة حفظ الآثار رقم () Lane Poole p. 205 .

(٢) ابن جبير ج ٢٠ .

(٣) للمقرئى ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٤) Le Description de L'Egypte p.465 .

فى كتاب « وصف مصر » صحيحة ودقيقة ، فإن تسميته للمجرى بهذا الاسم لابد وأن تعتمد على أحد أمرين :

١ - أما أن تكون الحملة الفرنسية استعملت الاسم الذى استعملته المراجع القديمة ، وسبق أن بينا أنه على الرغم من كثرة المراجع التى ذكرت الأثر فإنها لم تسم المجرى .

٢ - أو أن تكون التسمية مطابقة للسمى وفى هذه الحالة لابد وأن يكون بالمجرى سبع سواقي ، وهذا يخالف الواقع الموجود الآن ، إذ الباقى الآن ست سواقي .

ولقد وجدت رسماً للمجرى يرجع إلى سنة ١٨٤٠ فى كتاب « القاهرة »^(١) ، أى بعد مجيء الحملة الفرنسية بأربعين عاماً تقريباً ونجد فى هذا الرسم مبنى صغيراً على حافة النيل مباشرة وملتصق برأس المجرى (لوحة رقم ٥) . وليس من المستبعد بل من المرجح أن يكون هذا المبنى مكان الساقية السابعة . ويمكن تعليل وجود هذا المبنى الصغير إذا عرفنا أن ساحل النيل فيما يجاور القاهرة لم يثبت على حالة واحدة ، بل ينتقل من الشرق إلى الغرب ، وهذه الحركة يرجع عهدها إلى ما قبل الهجرة النبوية لم تقف بل استمرت إلى يومنا هذا^(٢) (انظر شكل ١) . وعلى ذلك فمن المحقق أن رأس المجرى قد بعد عن شاطئ النيل ومن ثم أنشئت الساقية السابعة لتغذية الست السواقي الموجودة برأس المجرى ولعلها تكون من الإصلاحات التى قام بها عبدى باشا .

وصف المجرى :

يبلغ طول المجرى الموجود حالياً والذى يمتد من فم الخليج إلى باب

(١) Cairo, by Robert Hay, P.L. 1,

(٢) حفريات القسطنطين ١٩ .

السيدة عائشة ٣١ كليومترات تقريبا . ويفصل شارع الكورنيش الآن بين رأس المجرى وبين النيل ، ثم يمتد المجرى جهة الشرق في خط متكسر الغرض منه إحداث انثناءات طفيفة في سير المجرى حتى يزيد من قوة دفع المياه (انظر شكل ٢) . ويستمر سير المجرى نحو الشرق حتى يلتقي بسيل « الوسية » (انظر شكل ١) حيث يوجد باب قايتباي الذي سبق الإشارة إليه . ويبلغ طول المجرى من مبدئه حتى سيل « الوسية » حوالي ٢٢ كيلومترا ، ثم يتغير سير المجرى ويتجه إلى الشمال الشرقي فيمر أمام مسجد « الزمر » ثم ينتهي عند باب السيدة عائشة ويبلغ طول المجرى من سيل « الوسية » حتى مسجد الزمر نصف كيلومتر ومن مسجد الزمر حتى باب السيدة عائشة ما يقرب من ٤٠٠ مترا .

والمجرى مقامه على قناطر يبلغ عدد العقود الباقية منه الآن ٢٧١ عقدا ، ومعظم العقود على شكل شبه دائري . وقد أجرى للمجرى عدة اصلاحات كما أدخل عليه بعض التغيرات ، إما لتصديق البناء كما حدث في العصر العثماني على يد عبدى باشا سنة ١١٤٠ هـ - ١٧٢٨ م أو لاتخاذها استحكما حريا وذلك في عهد الحملة الفرنسية ، فقد سد معظم عقود المجرى واستخدم كسور . ولذلك فإن القناطر الموجودة الآن بعضها باق بحالته الأصلية ويبلغ عددها ١٧٣ قنطرة ، والبعض له (جلس) للتقوية ويبلغ عددها ٣٣ قنطرة (لوحة ٦) ، ويبلغ عدد القناطر التي سدت ٢٦ قنطرة (لوحة ٧) ، أما عدد القناطر التي أنشئت فوق سور صلاح الدين فيبلغ عددها ٣٩ قنطرة (لوحة ٨) ويبلغ ارتفاعها ٣٥ مترا فوق السور . لقد جاء في وصف المجرى في كتاب الحملة الفرنسية ، وكذلك في الجبرتي أن عدد قناطر المجرى يبلغ ٣٠٠ قنطرة ، ولما كان الباقي منها الآن ٢٧١ قنطرة ، إذن فقد هدمت ٢٩ قنطرة .

وما هو جدير بالملاحظة أن سمة السلطنة الغوري ما زالت باقية في

أجزاء كثيرة من المجرى ، فهناك مداليه على رأس المجرى المطل على شارع الكورنيش (انظر لوحة ١) وهناك مداليتان على الوجه الجنوبي للمجرى على العقد السادس (انظر شكل ٢ : ب ، ج) . وبمتحف الفن الاسلامي مداليه تحت رقم (١٠٠) مأخوذة من المجر تحمل اسم السلطان الغوري . وعلى الوجه الجنوبي أيضا بعد تقاطعه بسكة حديد حلوان توجد مدالية خامسة (شكل ٢ هـ) . كما توجد مدليتان على العقد السادس في الوجه الجنوبي بعد تقاطع شارع سوق المواشي بالمجرى (شكل ٢ و ، س) .

وفي الجزء المتوسط من المجرى توجد دعائم ساندته يبلغ عددها ٢١ دعامة ممتدة على مسافات غير متساوية ، بعضها شبه دائري ويبلغ عدده ١٥ دعامة والآخر مربع ويبلغ عدده ٦ دعائم . ويقول كرزويل^(١) أن هذه الدعائم مستحدثة لأنها لا تتصل بمداميك الاكتاف التي ترتكز عليها (انظر لوحة ٤) ، كذلك يعتقد كرزويل أن الدعائم الشبه مستديرة والتي يبلغ عددها ١٥ دعامة كلها من عمل عبدي باشا أي ترجع إلى سنة ١٧٢٨ م .

والمجرى مبنى بالحجر (الدستور)^(٢) المسم في معظم اجزائه ، أما باطنه فمحمشو بالحجارة (انظر لوحة ١٠) . وهناك أجزاء قليلة من المجرى مبنية من الحجر الاملس ويرجع كرزويل كل الاجزاء الملساء في المجرى إلى عبدي باشا ، ولكنني استثنى من ذلك رأس المجرى ، فهو مبنى من الحجر الاملس أرجح أنه من عمل السلطان الغوري .

وفي أعلى المجرى يوجد تجويف مبنى بالملاط يبلغ عرضه ٧٦ سم وعمقه ٥٠ سم ، وهو الجزء المخصص لجريان المياه (لوحة ١٠) .

رأس المجرى :

يتكون رأس المجرى من شكل سداسي تبلغ مساحته ٨٥ ر ٦٢٥ مترا

(١) Creswell : 92

(٢) استعمال صلاح الدين الأحبار السنية من قبل في سورة .

مربعا وهو غير متساو الاضلاع (انظر شكل ٣) اذ يبلغ طول الضلع ^(١) ٢٢ ر ٨ مترا والضلع ^(٢) ٢١ ر ٨ مترا والضلع ^(٣) ١٨ ر ٢ مترا والضلع ^(٤) ٢٦ ر ٦ مترا والضلع ^(٥) ٢١ ر ٨ مترا والضلع ^(٦) ٢١ ر ٨ مترا . ويبلغ ارتفاع رأس المجرى ١٨ ر ٤ مترا ، وقد ورد في كتاب « القاهرة » ^(١) أن ارتفاع رأس المجرى يبلغ ٦٨ قدما أى ٤ ر ٢٠ مترا ، ومعنى هذا أن الاتربة تغطي مترين من أساس المجرى .

والضلع رقم ^(٦) هو الضلع المطل على شارع الكورنيش الآن . وكل وجه من الالوجه الستة محلى بعقدين شبه دائريين انظر (لوحة ١) وتبلغ فتحة العقد ٢ ر ٨ مترا وارتفاعه ١٦ مترا (انظر شكل ٣ الالوجه) ويبلغ عمقه ١١ مترا ما عدا العقدان الموجودان فى الضلع ^(٣) فيبلغ عمق كل منهما ١١ ر ٨ مترا . ويوجد تجويف واحد بكل من العقود الالثنى عشره الموجوده باضلاع المأخذ الستة ما عدا عقد واحد بالضلع ^(٣) به تجويفان .

وبداخل الشكل السداسى الخارجى يوجد سداسى آخر متساوى الاضلاع يبلغ طول كل ضلع منه ٨ مترا ، ويتوسط السداسى الداخلى عمود يبلغ قطره ١٦ ر ٣ مترا ويحيط بالمسدس من الداخلى ستة عقود يبلغ فتحة كل منها ٩ ر ٣ مترا وترتكز هذه العقود على اكتاف عرضها ٩ ر ١ مترا وتبرز العقود عن المسدس الداخلى بمقدار ٥٤ ر ١ مترا . وهذه المسافة مكشوفة وغير مغطاة من أعلى . والمأخذ منطى من الداخلى بستة أقباء متقاطعه (مصلبات) مبنية بالطوب ، أما باقى بناء المأخذ فمبنى من الحجر الالاملس وباطنه محشو بالحجارة (الردش) كما هو الحال فى باقى القناطر . وعلى ارتفاع ثلثى العمود المتوسط توجد ستة تتوءات يقابلها ستة تتوءات فى اكتاف العقود الستة ومن المرجح أن تكون هذه التتوءات المتقابلة بقايا ستة عقود ،

Robert Hay : Cairo p. (١)

كان الغرض منها ربط المأخذ بالعمود المتوسط للتقوية ، وقد تهدمت مع مرور الزمن .

كيفية عمل السواقى :

يصعد إلى سطح المأخذ (بمزلقان) ليس به درج ، ولعل ذلك عمل خصيصا لصعود الدواب التى تستخدم فى ادارة السواقى . ويوجد فى وسط السطح حوض تحيط به ستة فتحات هى المسافة المتروكة بين العقود والمسدس الداخلى التى سبقت الاشارة اليها ، وقد خصصت هذه الفتحات لكى تدور فيها العجلة التى تربط بها القواديس التى تجلب الماء من باطن المأخذ ثم تصبه فى الحوض المتوسط ، والحوض متصل بمجره ، فاذا امتلأ الحوض بالمياه صب فى هذه المجره ومنها تسير المياه إلى باقى القناطر . وتتصل الفتحات الست بمجره بها عمود خشبي يتصل بعجلتين بهما (تروس) احدهما فى وضع أفقى وهذه هى التى يحركها البقر والاخرى فى وضع رأسى متصلة بالعمود الخشبي الذى يدير بدورة العجلة ذات القواديس بداخل الفتحات (شكل ٣ مسقط السطح) .

وعلى ذلك فانه يوجد بأعلى المأخذ ست سواقى تعمل بنفس الطريقة التى ما زالت تستعمل فى الريف المصرى حتى اليوم (انظر شكل ٤) .

الخلاصة :

من هذا السرد المتقدم لآراء المؤرخين وعلماء الآثار يتبين لنا أن حجتنا فى هذا الموضوع هو النص الذى أورده المقرئى ، وعلى ضوء هذا النص واعتمادا على الاستكشافات التى أجرتها مصلحة الآثار بالقسطاط ودارسة الاثر دراسة دقيقة نخلص إلى الآتى : —

أولا — أنه تم فى العهد الايوبى توصيل مياه النيل من منطقة رباط

الآثار جنوبى الفسطاط إلى قلعة الجبل بواسطة السور الذى عبر عنه المقرئى بالقناطر العتيقة ، ويؤيد المقرئى فى ذلك حفريات الفسطاط التى كشفت عن وجود مجرى للمياه منحوت فى الحجر ومغطى بألواح حجرية فى سور صلاح الدين ، أضف إلى ذلك وجود الحوضين المبنيين بالسور واللذين يرجح أنهما كانا يملآن بالماء لى يشرب منهما عابر والسبيل .

ثانياً — اعتنى الملك الناصر محمد بن قلاوون عناية عظيمة بنقل مياه النيل إلى القلعة فأقام المنشآت الآتية : —

(١) أنشأ سنة ٧١٢ هـ^(١) أربع سواق على بحر النيل تنقل المياه إلى السور ثم من المؤكد أن يكون مكان هذه السواق الأربع ، هو عند التقاء السور بالنيل من الجهة الجنوبية أى عند رباط الآثار .

(٢) سنة ٧٤١ هـ اهتم الملك الناصر بسوق الماء إلى القلعة وتكثيرها فأمر بحفر بئر أخرى عند ساحل النيل وأقام عليها قناطر تتصل بالقناطر العتيقة «أى سور صلاح الدين» حيث يوجد مجرى آخر للماء ، فيجتمع الماء من بئر بئر سور صلاح الدين وبئر القناطر ويصير ماء واحداً يجرى إلى القلعة^(٢) . ويستفاد من هذا أن القناطر التى أنشأها الناصر محمد كانت فى مستوى سور صلاح الدين لأنه لم يرد فى نص المقرئى ولا فى غير ه من المراجع ، ما يفيد أن الناصر ارتفع بالسور أو أقام قناطر على السور حتى يصل إلى مستوى قناطره الجديدة . ولما كان ارتفاع السور وكذا قناطر مجرى المياه أقل ارتفاعاً من القلعة ، فقد أصبح من الواجب إنشاء عدة سواق فى أماكن متعددة لرفع المياه إلى القلعة ، وهذا ما عمله الناصر محمد فقد أنشاء للمياه آباراً وجعل عليها سواقى نقاله فى عدة أماكن^(٣) .

(١) المقرئى ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) المقرئى ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٣) تاريخ مصر لابن اياس ج ١ ص ١٦٠ .

نخلص من هذا أن القناطر القائمة الآن ليست من عمل الناصر محمد لأنها
أعلى من سور صلاح الدين مما استوجب إنشاء قناطر أخرى على سور
صلاح الدين ، وذلك عند التقاء القناطر بالسور عند سبيل الوسيه .

ومن التحقيقات المعمارية يتبين لنا أن القناطر المقامه على السور تختلف
الأحجار المستعملة في بنائها عن أحجار السور ، فمقاس « المدماك » الذى
بالسور يبلغ ٤٣ سم تقريباً وهو نفس مقاسات الأحجار التى استعملت
فى باقى أسوار صلاح الدين ، أما مقاس « مدماك » القناطر فيبلغ ٣٦ سم
وهو نفس مقاسات الأحجار المستعملة فى معظم اجزاء القناطر ونفس المجرى
الذى يوجد عليه رنك السلطان الغورى .

ثالثاً — من المرجح أن يكون الملك الأشرف أبو النصر قانصوه
الغورى قد أزال المجرى الذى أنشأه الناصر محمد وأقام مكانه مجرى جديداً
وذلك لسببين هامين :

(١) ليرتفع بالمجرى حتى يصل إلى مستوى قريب من ارتفاع القلعة .

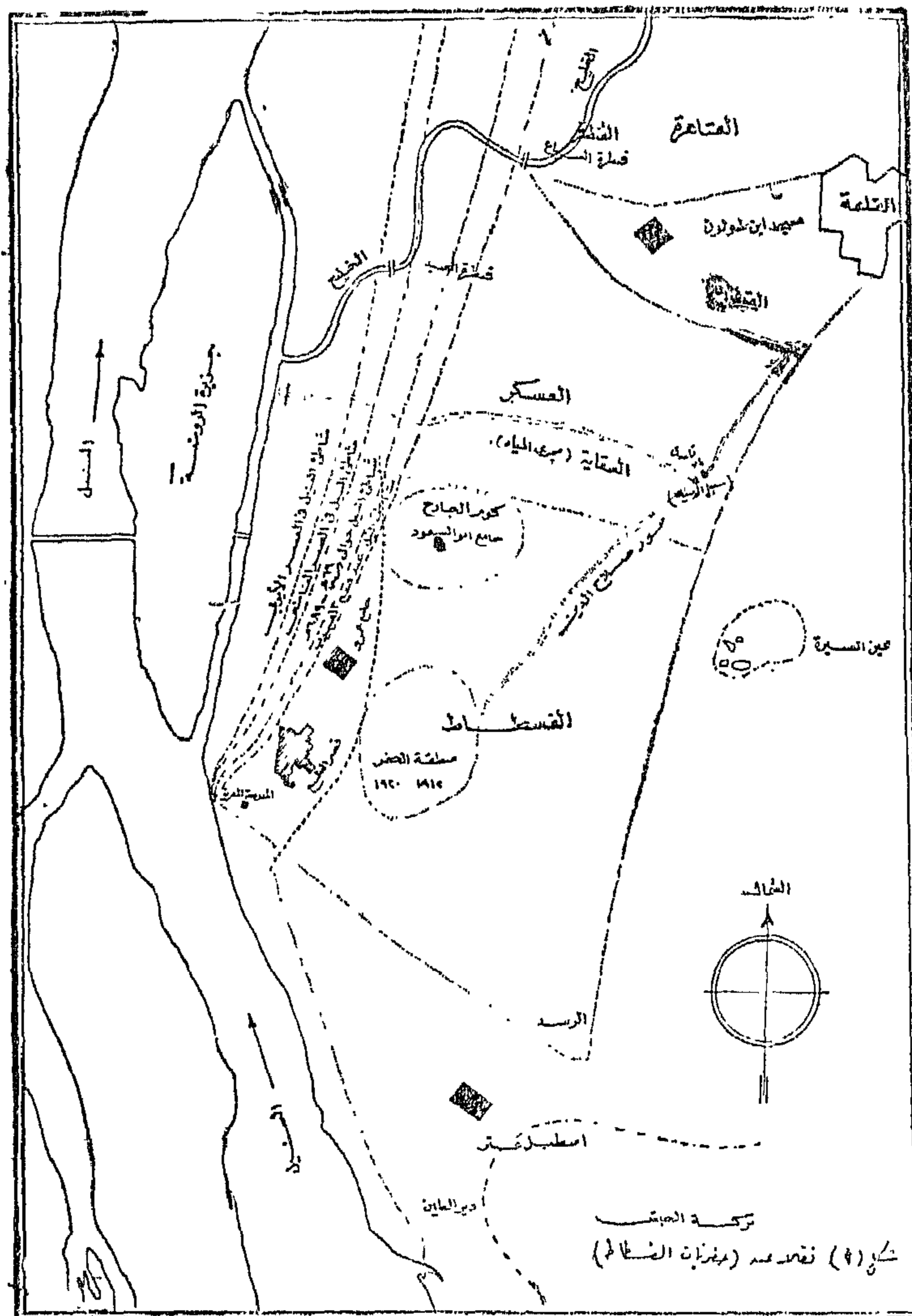
(٢) إن المتبع لطوبوغرافية مدينة القاهرة يجد أن النيل ينتقل باستمرار
جهة الغرب ، وعلى ذلك فإنه فى المدة التى انقضت بين الملك الناصر
والسلطان الغورى وتبلغ قرابة قرنين من الزمان ؛ بعد المجرى أو القناطر
عن شاطئ النيل ، وعلى هذا فليس من المعقول أن يكون مكان رأس
القناطر الموجود الآن على النيل هو نفس المكان الذى أقام عليه الناصر
رأس قناطره . كذلك ذكر ابن اياس^(١) أن الغورى أنشأ المجرى ،
ولم يقل أصلحها .

(١) ابن اياس ج ٣ ص ٦٢ .

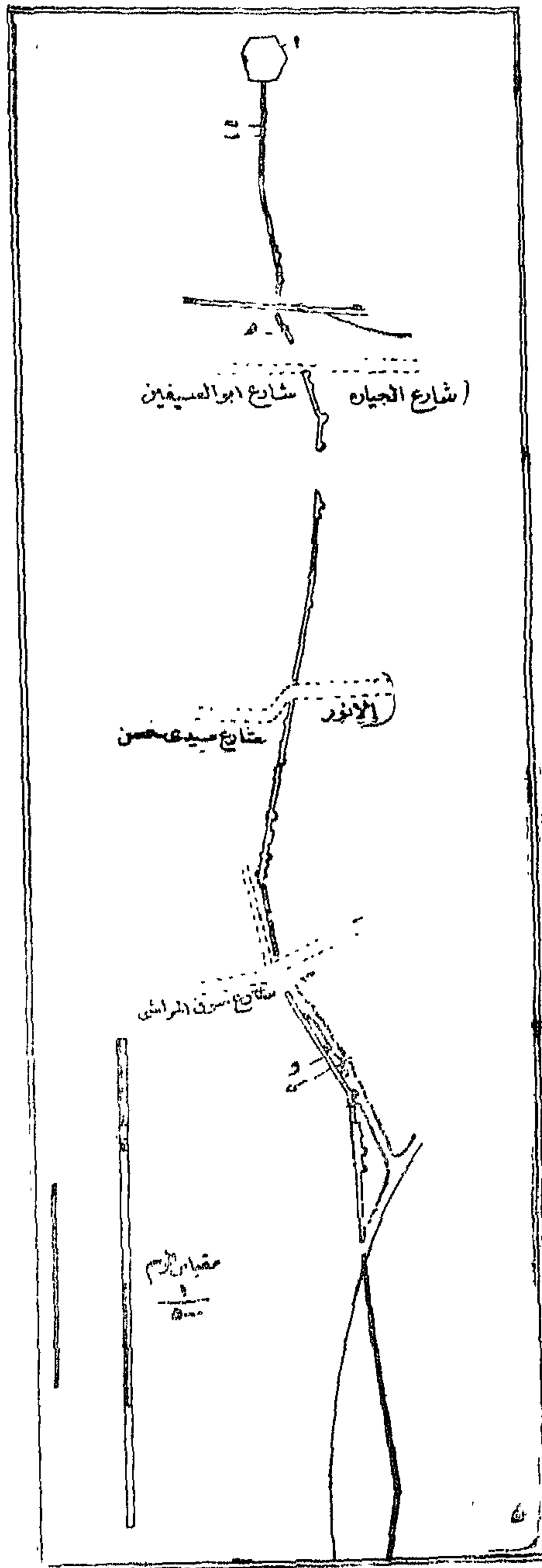
نما تقدم أستطيع القول في ثقة واطمئنان أن أول من أنشأ مجرى مياه
فم الخليج هو الناصر محمد عام ٧٤١ هـ ، وأصلحت سنة ٨١٢ هـ على يد الأمير
يلبغا السالمى ، ثم أعاد بناءه السلطان الغورى سنة ٩١١ هـ . وفى العهد
العثمانى أصلح عبدى باشا بعض اجزائه سنة ١١٤٠ هـ - ١٧٢٨ م ثم
جاءت الحملة الفرنسية فسدت معظم عقود القنطرة واستخدمته سوراً
تحتوى وراءه .

سماز ماهر

شکل (۱)

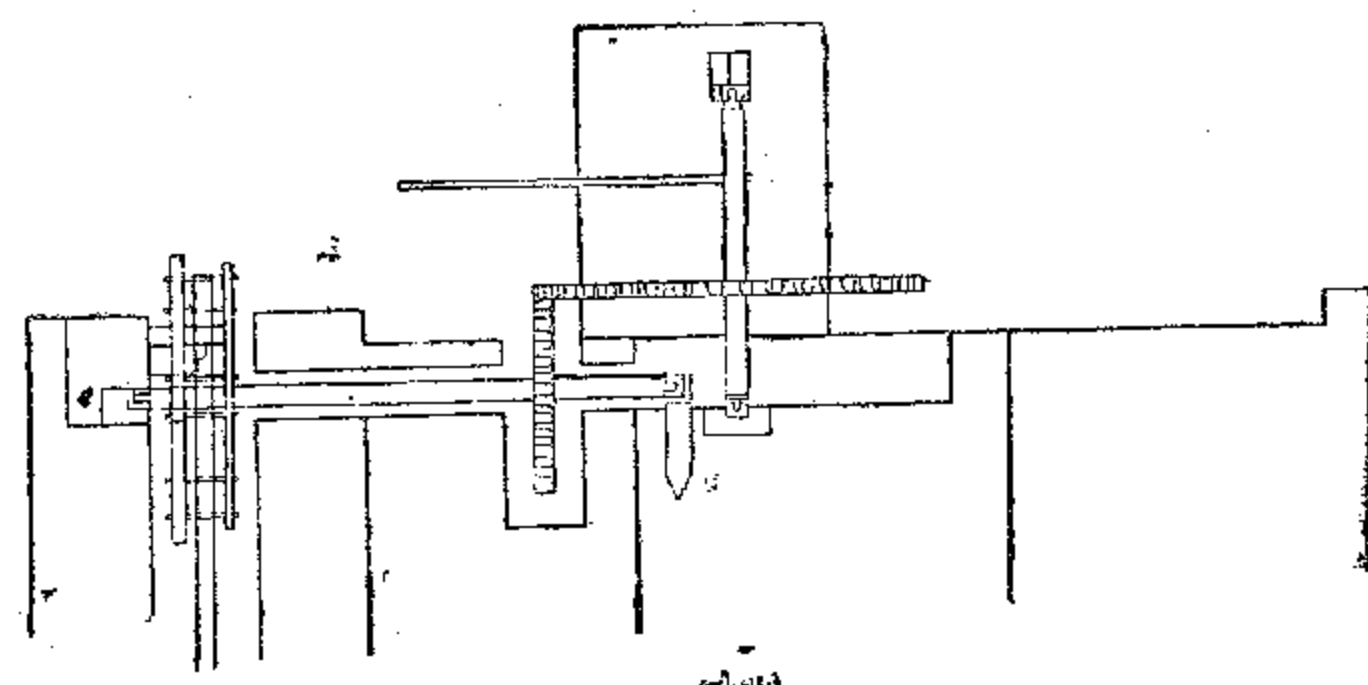
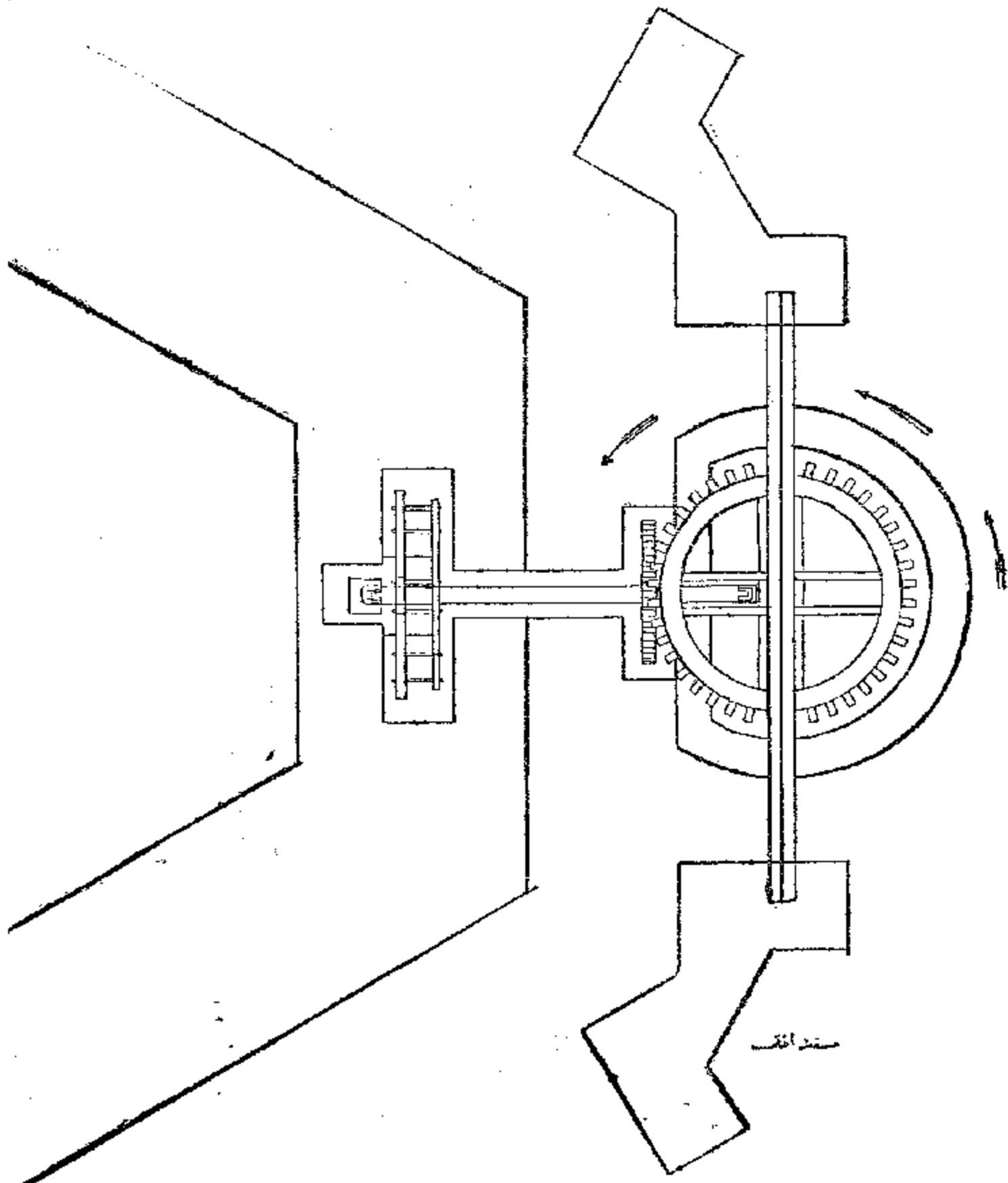


شكل (٢)



[نقلا عن كرزويل]

وزارة المعارف والعلوم
إدارة حفظ الآثار العربية
بأحمد مجرى المنيان (الست سائق)
بسم الفيلج
رسم إحدف الصراف

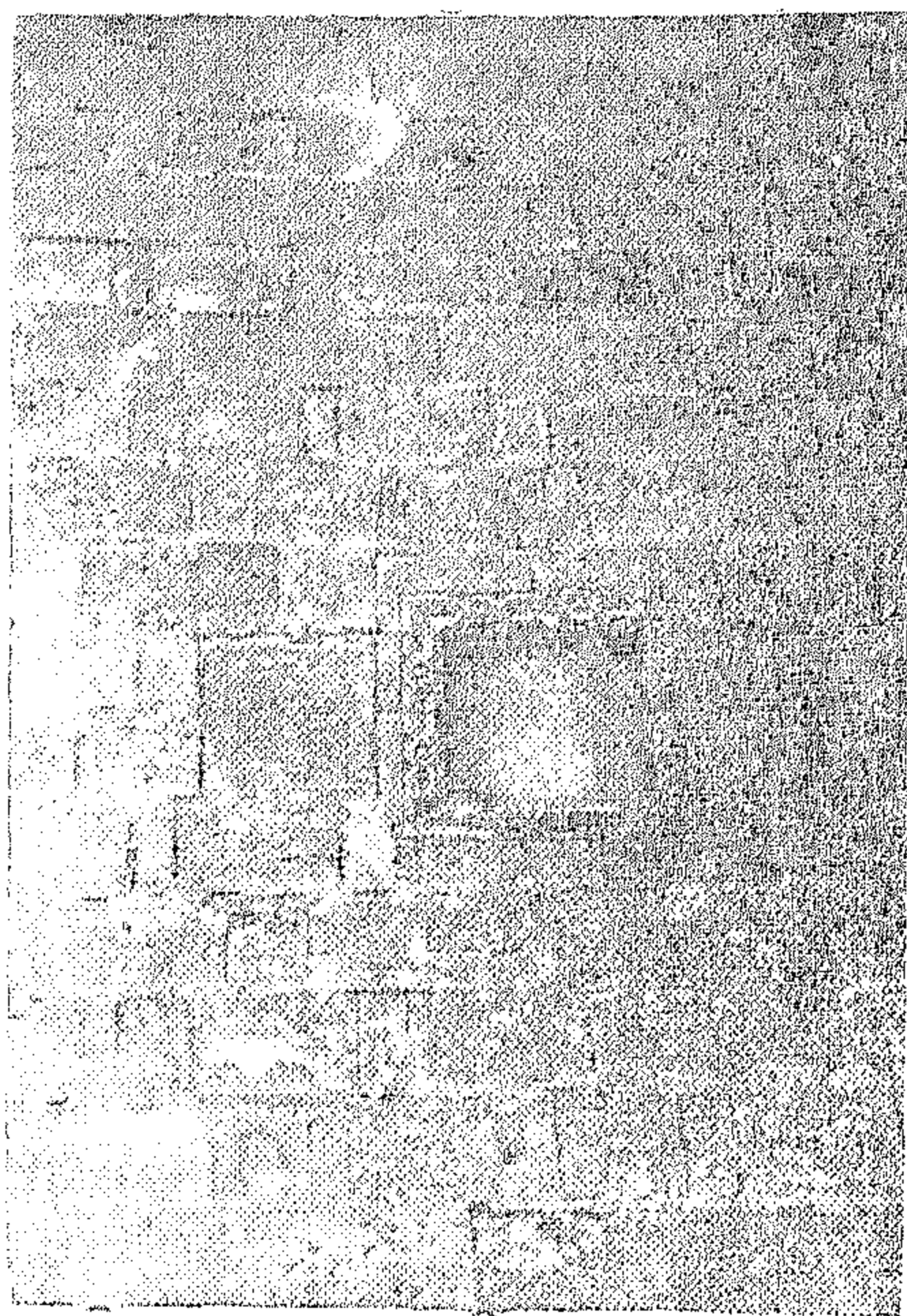


شكل ٤

لوحة ١



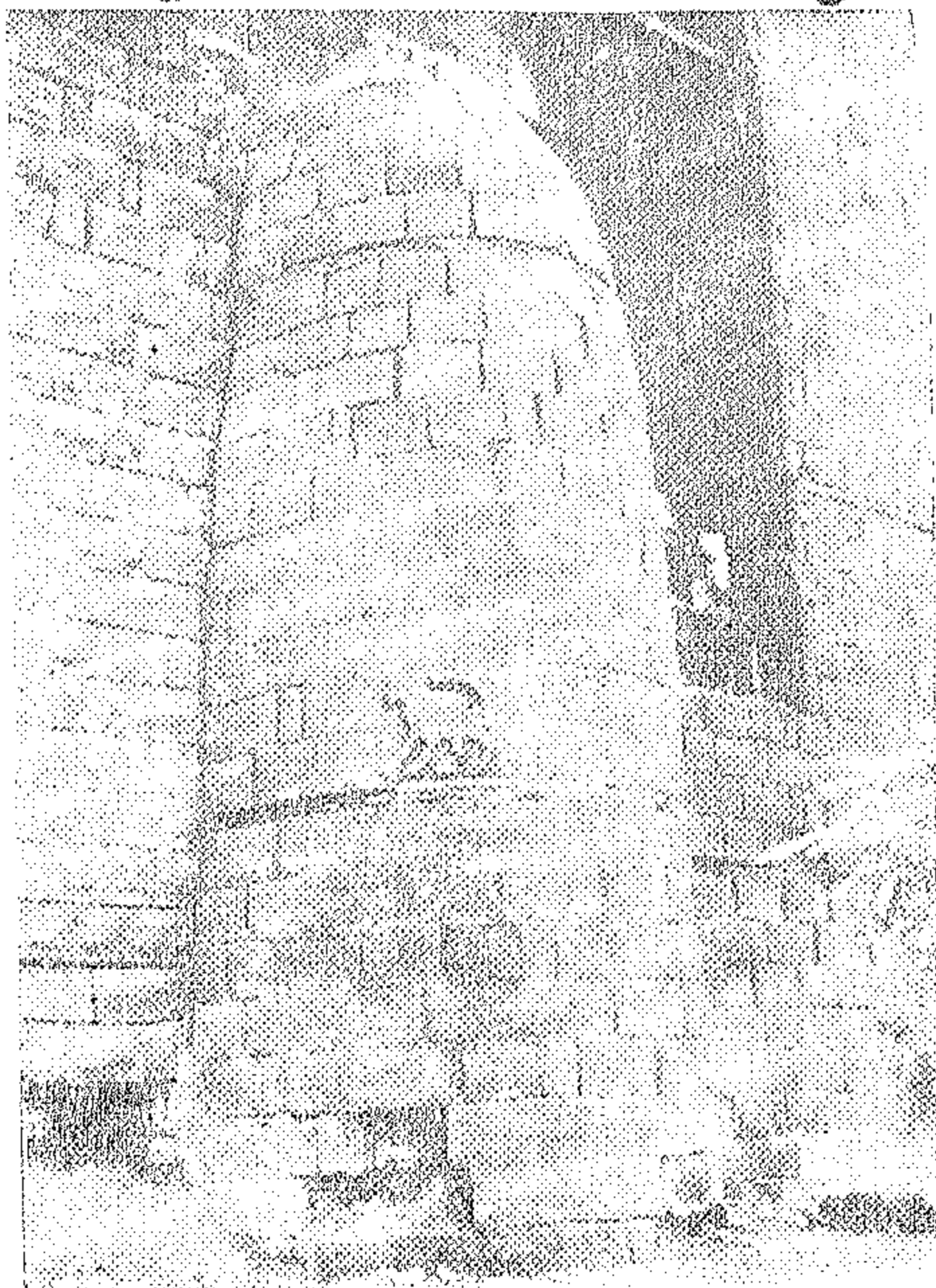
لوحة ٢



لوحة ٣



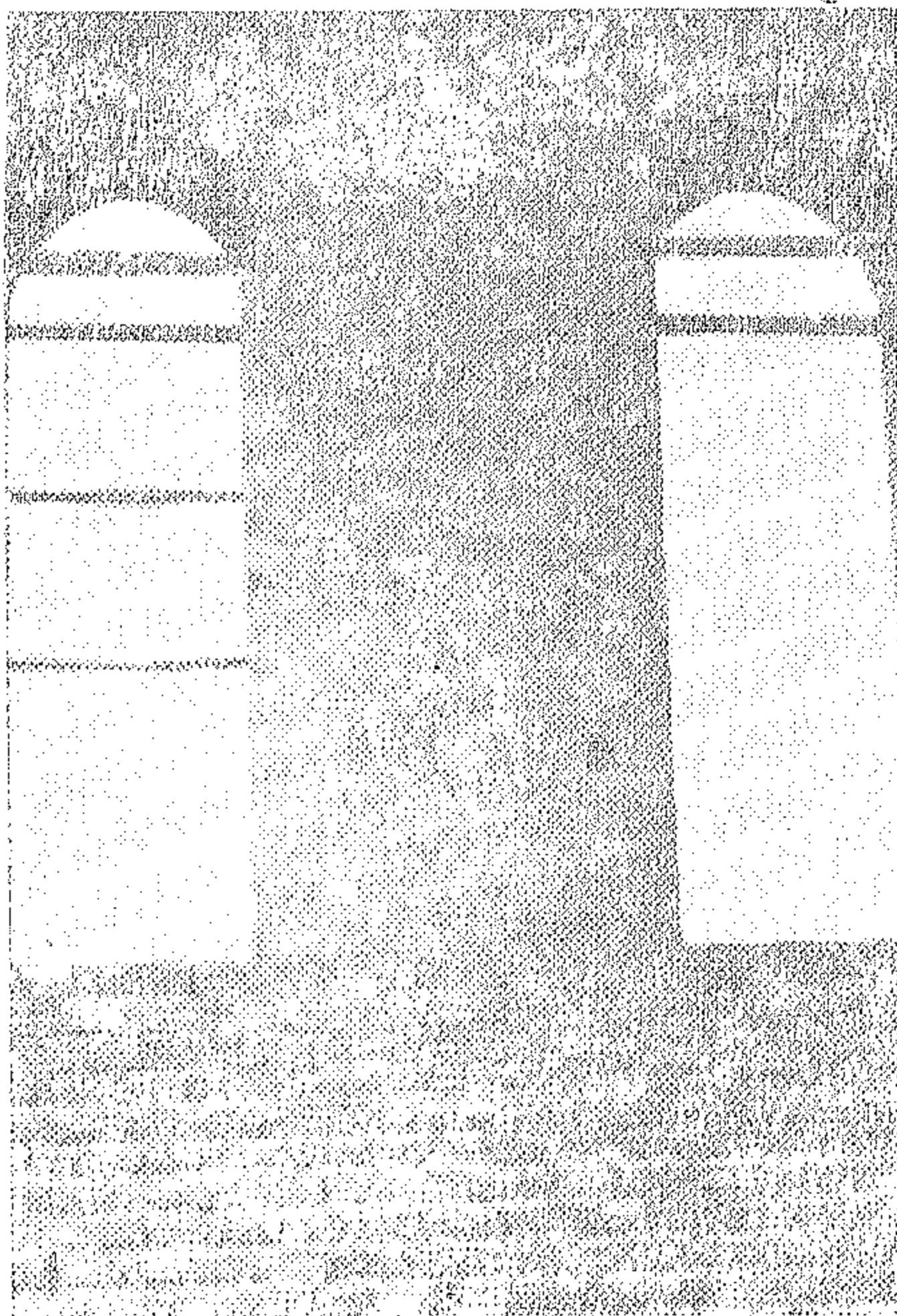
لوحة ٤



لوحة ٥



لوحة ٦



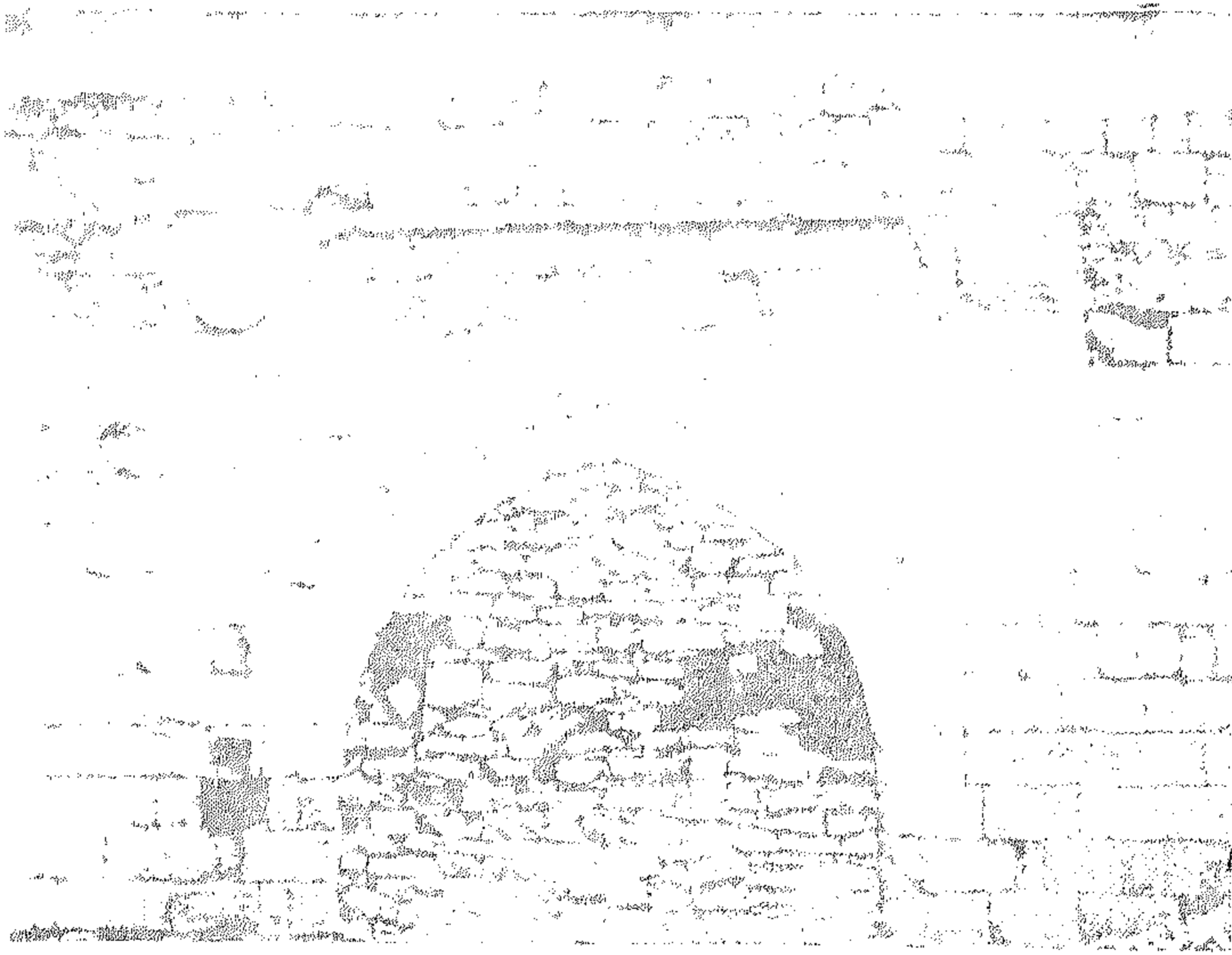
لوحة ٧



لوحة ٨



لوحة ٩



لوحة ١٠

